قال صاحبها : فقلتُ لها : كأن العلم إفسادٌ للمرأة ! وكأنه تعليمُ مَسَرَّاتها ونقائصها ، لا تعليمُ فضائلِها ومحاسنها

قالت : لا ، ولكنّ عقلَ المرأة هو عقلُ أنثى دائماً ؛ ودائماً عقلُ أنثى ؛ وفى رأسها دائماً جوٌّ قليها ، وجوٌّ قليها دائماً فى رأسها . فاذا لم تكن مدرستُها مُتَمِّمةً لدارها وما فى دارها ، تَمَّمَتْ فيها الشارعَ وما فى الشارع

العلم للمرأة ، ولكن بشرط أن يكون الأبُ وهيبةُ الأب أمراً مقرَّراً فى العلم ، والأخُ وطاعةُ الأخ حقيقةً من حقائق العلم ، والزوجُ وسيادةُ الزوج شيئاً ثابتاً فى العلم ، والاجتماع وزواجرُه الدينيةُ والاجتماعية قضايا لا يَنْسَخُها العلم . بهذا وحده يكون النساء فى كل أمة مصانعَ علميّةً للفضيلة والكمال والانسانية ، ويبدأ تاريخُ الطفل بأسباب الرجولة التامّة ، لأنه يبدأ من المرأة التامّة

أما بغير هذا الشرط فالمرأةُ الفلاّحةُ فى حجرها طفلٌ قذر ، هى خير للأمة من أكبر أديبةٍ تخرج ذُرِّيَّةً من الكتب . . .

انظر — « يا عزيزى رغم أنفى » — هذه رسالة جاءتنى اليوم من صديقتى فلانة الأديبة الـ . . . فاسمع قولها :

« وأنا أعيشُ اليوم فى الخيال ، لأنى أعيش فى بعض خفايا الحبيب . . . »

« وفى الحياة موتٌ حلوٌ لذيذ ؛ عرفتُ ذلك حينما نسيتُ نفسى على صدره القويّ ، وحينما نسيتُ على صدره القويّ صدرى . . . . »

أسمعتَ يا عزيزى ؟ إن كنت لمّا تَعْلَمْ أن هذا هو علم أكثر الفتيات المتعلمات حين يكسَدُ الزواج — فاعلَمْهُ . ومتى عَمِىَ الشعبُ والحكومةُ هذا المعنى ، فان حريةَ المرأة لا تكون أبداً إلا حريةَ الفكرةِ المحرَّمة !

* * *

قلت لصاحبنا : ثم ماذا ؟

قال : ثم هذا . . . . ودسّ يده فى جيبه فأخرج أوراقاً كَتَبَ فيها رواية صغيرة أسماها : (الطائشة) ؟

(الرواية فى العدد الآتى) (خطأ) مصطفى صادق الرافعى

٤ — لوكريسيا بورجيا

صور من عصر الاحياء

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت لوكريسيا إلى جانب هذه الرعاية الأدبية التى تبذلها لأقطاب الشعر والأدب ، تعاون زوجها فى حكم ولايته معاونة قيمة ؛ وكانت تتولى ادارة الشئون العامة أثناء غيابه ، وتبدى فى تصريفها حزماً وبراعة

وكان زواجاً موفقاً فى البنين ، فقد رزقت لوكريسيا بغلامين احدهما فى سنة ١٥٠٨ ويدعى هرقل ، والثانى فى العام التالى ويدعى ايبوليت ، ورزقت بعد ذلك بعدة أعوام بابنة دعيت ألينور ، فغلام ثالث يدعى فرنشيسكو

وخاضت ايطاليا مدى حين حروباً أهلية طاحنة ، وحمات فيرارا قسطها من هذه المعارك ، وتقلبت فى صعاب وأزمات شديدة ، ولكن لوكريسيا كانت فى هذه الأعوام العصيبة مثال الثبات والجلد ، وكانت تعمل على تخفيف آلام الشعب ما استطاعت ، وكان الشعب يحبها ويعتبرها كالأم الرؤوم

وكانت لوكريسيا عندئذ فى عقدها الرابع ، أمّاً ناضجة ، وكأنما طوت كل مراحل هذه الحياة فتية ؛ وكانت قد اختتمت منذ بعيد هذا العهد الضاحك الذى كان قلبها يشع فيه مرحاً وغبطة ، واستقبلت عهداً جديداً تسوده الرزانة والخطورة ، ويسوده الزهد والترفع عن متاع هذه الحياة ، فكانت فى أعوامها الأخيرة فى فيرارا تذهب كل صباح الى « المترف »

أجل ، كانت لوكريسيا تقترب بسرعة من الخاتمة المحتومة ، ففى ١٤ يونيه سنة ١٥١٩ وضعت لوكريسيا طفلة ميتة ، وكانت فى أشهر حملها الأخيرة تشكو آلاماً مبرحة ؛ وكان الوضع هو الضربة القاضية ، إذ اشتدت عليها الآلام والمرض ، وشعرت بقضائها يدنو ؛ فأملت فى يوم ٢٢ يونيه خطاباً وجهته الى البابا ليون العاشر ، وفيه تلتمس من البابا أن يباركها فى عبارات بليغة مؤثرة ؛ وبعد ذلك بيومين فقط ، كان القضاء المحتوم ،

وصعدت الى بارئها تلك الروح الوثابة الساطعة ، وأغلقت لوكريسيا بورجيا عينيها الساحرتين الى الأبد ، وقد أشرفت فقط على الأربعين من عمرها

* * *

هكذا كانت حياة تلك التي أثارت في عصرها بشخصيتها الساحرة وحياتها الساطعة كثيراً من الحب والعطف ، والنقمة والروع ؛ ثم غدت سيرتها بعد ذلك على كر العصور مستق لكثير من القصص الشائق المثير معاً

والآن ، وقد فرغنا من تتبع هذه الحياة في أدوارها المختلفة ، نعود فنحاول أن نتلمس فيها مواطن الحقيقة والخيال

هل كانت لوكريسيا بورجيا تلك التي تصفها الرواية المعاصرة شيطاناً للرذيلة والاثم ؟ وهل كانت تلك البغي السافلة التي تنقلب بين أذرع أبيها وأخويها ؟ أم هل كانت ضحية اتهام شائن تمليه الخصومة والحقد ؟

إن هذه التهم الشائنة التي تنسبها الرواية والقصة الى لوكريسيا بورجيا ، والتي أشرنا إليها فيما تقدم ترجع الى الروايات المعاصرة ذاتها ، وهذا ما يسبغ عليها مسحة من القوة ؛ وقد رأينا كيف أن بوركارت مدير التشريفات البابوية يثبتها في مذكراته كوقائع حقيقية ، وقد كان بوركارت بمركزه واتصاله المستمر باسكندر السادس وأفراد أسرته ، ممن يستطيعون الوقوف على الحقائق من مصادرها

وقد حذا حذو بوركارت عدة من المؤرخين والرواة المعاصرين مثل جويشارديني المؤرخ والسياسي البارع ، وقد كان من أعلام العصر ؛ فهو يردد في كتابه « تاريخ إيطاليا » معظم التهم والآثام التي نسبت إلى لوكريسيا وإلى آلها

ومن أدلة الاتهام المعاصر أيضاً وثيقة خطيرة ، هي خطاب كتب في سنة ١٥٠١ ، ووجهه كاتبه إلى سيلفيو سافيللي ، وهو أحد النبلاء الاقطاعيين الذين نزع اسكندر السادس أملاكهم ؛ وكان ذلك الحين يقيم في بلاط أمبراطور ألمانيا مستجيراً به ؛ ولم يعرف كاتب الخطاب ، ولكن ذكر في ختامه أنه حرر في تارانتو في المعسكر الملكي (الاسباني)

وفي هذا الخطاب يعدد الكاتب آثام اسكندر السادس وآل بورجيا ، ويتحدث عن أطماعهم وجرائمهم السياسية والاجتماعية ، وعما يرتكبونه من صنوف العبث والفجور والتهتك ، وعن انتهاكهم لكل الحرمات الدينية والاجتماعية وسحقهم لكل مبادىء الحياء والحشمة ؛ ويتحدث بنوع خاص عن شيزاري بورجيا وجرائمه الدموية ، وعن لوكريسيا وعلائقها الأثيمة مع أبيها وأخويها ، وعن الحفلات الخليعة الشائنة التي يقيمها البابا وأبناؤه ، ويخص بالذكر حادثة الليلة الماربة التي اجتمع فيها خمسون من غانيات رومة عراة أمام البابا وأولاده وارتكب فيها من صنوف الفحش المثير ما ارتكب وما أشرنا اليه فيما تقدم ؛ ويتحدث بوجه عام عن حالة المجتمع الروماني في ذلك الحين وما بثه اليه آل بورجيا من صنوف الفساد والاثم والروع ؛ كل ذلك في إفاضة ومنطق قوي يدل على تمكن الكاتب من الشؤون التي يتناولها

وقد ترجم هذا الخطاب الذي يعرف بخطاب « سافيللي » إلى معظم اللغات الأوربية ونشر في سنة ١٥٠٢ في جميع العواصم ، وكان له وقع هائل في إيطاليا ، وفي أوربا كلها ؛ وسجلته أيضاً جميع التواريخ والروايات المعاصرة

ويرى المؤرخ الألماني جريجوروفيوس في كتابه « تاريخ رومة في العصور الوسطى [1] » في هذا الخطاب وثيقة حقيقية تمثل صورة رومة في عصر آل بورجيا ، وأنه لا تفضلها وثيقة أخرى في تصوير سياستهم الفاجرة ، وما بثوه من الروع في المدينة على يد أعوانهم وجواسيسهم

وترى هذه التهم ماثلة لا في الروايات المعاصرة فقط ، ولكن في كثير من الكتب والرسائل السياسية المعاصرة ، وفي شعر بعض أكابر الشعراء المعاصرين

وما زالت سيرة آل بورجيا ، وسيرة لوكريسيا ، بما يتخللها من تلك الصور الروعة المثيرة ، حتى العصر الحديث مستق القصص والشعر ؛ وقلما يخترع القصص أو الشعر فيها شيئاً لم تدونه الروايات المعاصرة ؛ ومع ذلك فان هذه القطع القصصية أو الشعرية تقوم على كثير من الوقائع المفرقة أو الخيالية المحضة ، التي لا يستطيع المؤرخ أن يقف بها

(1) Geschichte der Sratt Rome im Mittelalter

مثال ذلك ما كتبه اسكندر ديما عن « آل بورجيا » فى كتابه « الجرائم الشهيرة »[1] ، فقد تناول سيرة آل بورجيا ولوكريسيا فى فصل طويل فياض بالوقائع والصور المدهشة ، وقدم لنا اسكندر السادس ، وابنه شيزارى ، وابنته لوكريسيا فى أروع الصور وأسفلها : طغمة من الأبالسة ، تسحق الحياة البشرية تحت أقدامها ، وتبث الدمار والموت فى أرجاء المدينة الخالدة ، بالسم والخنجر وكل وسيلة آثمة ؛ وقدم إلينا لوكريسيا فى صورة بنى سافلة ، تعاشر أباها وتعاشر أخويها ، وجمعاً كبيراً من الصحب والخلان

ووضع ڤكتور هوجو قطعته المسرحية الخالدة « لوكريسيا بورجيا »[2] فجاءت خلاصة من تلك الروايات المغرقة المعاصرة ، ولا بأس من أن نقدم خلاصتها ليرى القارئ كيف أن الشاعر لم يلجئ فى مادته إلا أن تكون مثار السحر والروع :

هى قطعة نثرية فى ثلاثة فصول ، خلاصتها أن عدة سفراء فتيان من فلورنس شهدوا فى مدينة البندقية (فينزيا) مرقصاً محجباً ، كانت تمثل فيه لوكريسيا بورجيا محجبة ؛ وكان معهم فتى يدعى جنارو ، وهو فتى مجهول النشأة لا يعرف له أماً ولا أباً . وجلس الفتية الفلرنسيون يتحدثون عن آل بورجيا ويرددون مايذاع عنهم من قصص القتل والآثام الشنيعة ؛ وجلس جنارو إلى جانبهم وقد أخذته سنة من النوم ؛ وبعد هنيهة قدمت امرأة محجبة ، وهوت على جنارو تقبله فاستيقظ من نومه . من هى ؟ هى لوكريسيا ، وهى أمه ، وهو ولدها الطبيعى ؛ ولم تستطع حين رؤيته أن تقاوم هذه اللذة . ورفعت لوكريسيا قناعها لجنارو خلسة ؛ ولكن الفتية الفلرنسيين رأوها وعرفوها ، وظنوها خليلته ، واعتزموا زيارتها معه فى فيرارا مقامها . وظن زوجها (دوق فيرارا) ان جنارو صاحبها ، فأمر بالقبض عليه ، وأراد أن يرغم لوكريسيا على اعدامه بيديها بحجة أنه أهان اسم آل بورجيا وذلك بازالة بعض حروفه المنقوشة على شرفة القصر ؛ ونفذ الدوق مشروعه فعلاً ، فأرغم لوكريسيا على أن تضع السم فى كأس جنارو ، وأن تقدمه إليه . ولما شرب الفتى الكأس المسمومة ، تركهما الدوق ؛ فبادرت لوكريسيا إلى انقاذ جنارو ، وقدمت له الترياق ؛ فتردد الفتى لأنه كان يعتبرها أشد اجراماً من الدوق ، ولكنه شرب الترياق أخيراً ونجا من الموت

وأرادت لوكريسيا أن تنتقم من الفتيان الفلرنسيين الذين عرفوها وأذاعوا اسمها ، فاحتالت لدعوتهم إلى العشاء عند إحدى صاحباتها ، وبينما هم فى أرق لحظات المرح ، إذا بهم يسمعون أناشيد الحزن ، ومن ورائهم صف من الرهبان والنعوش ، فاعتقد الفتيان أنها مزحة مدبرة ، ولكنها كانت الحقيقة الرائعة ؛ ذلك أنهم تناولوا السم فى الطعام والشراب ، ولم يبق بينهم وبين الموت سوى لحظات ، ولكن شاء نكد الطالع أن يكون بينهم جنارو ! فتقدم إلى لوكريسيا يطلب نعشه ؛ فذهلت لوكريسيا ، وحاولت أن تبادر إلى إنقاذه ، ولكنه لم يقبل ، ولم يمهلها حتى أخرج خنجره ، وما كاد يطعنها حتى صاحت : « إنى أمك ! »

هذه هى خلاصة قطعة هوجو المسرحية الخالدة التى مازالت منذ نحو قرن تسحر ملايين النظارة ، وهى كما ترى قطعة من الخيال المغرق لم يراع الشاعر فيها شيئاً من التاريخ الحق

ومع ذلك فان ما كتبه اسكندر ديما وهوجو إنما هو انموذج فقط لمئات السير والقصص التى كتبت عن لوكريسيا بمختلف اللغات ، وكلها نماذج للخيال المغرق والقصص المثير

* * *

بيد أننا نرى فى عصرنا مؤرخاً بارعاً هو العلامة الفرنسى فرانز فونك برنتانو ، يحاول فى كتابه الذى أشرنا إليه من قبل أكثر من مرة[1] أن ينتزع شخصية لوكريسيا بورجيا من تلك الغمر المروعة التى أحاطت بسيرتها ، وأن يمحص تلك الروايات المغرقة التى امتزجت بحياتها ، وأن يرد كثيراً من التهم التى نسبت إليها

وفى رأى هذا المؤرخ البارع ، الذى يدعم عرضه فى معظم الأحيان بمنطق خلاب ، أن التاريخ قد ظلم لوكريسيا أشنع ظلم ، وأن هذه الفتاة التى صورتها الروايات المعاصرة بغياً فاجرة ، لم تكن سوى ضحية وأداة ذلول فى يد أبيها وأخيها ، وأنها كانت تدفع دفعاً إلى مشاطرة هذه الحياة المثيرة التى كانت تنتظم فى قصر الفاتيكان ، ولكنه يرد عنها تهم الفجور الشنيعة التى نسبت

(1) Les crimes célèbres
(2) Lucrèce Borgia

(1) Lucrèce Borgia

إليها ؛ ولا سيما تهمة عشيرة أبيها وأخيها ، ويرتاب في أقوال بوركارت وغيره من الرواة المعاصرين ، ويرى أن هذه التهم ترجع في الأصل إلى الحملة القاذفة التي شهرها چان سفورزا زوج لوكريسيا الأول عليها انتقاماً لفصله منها ، وإلى الحملات القاذفة التي دبرت أيضاً ضدها وضد آلها في بلاط نابل على أثر مقتل زوجها الثاني الفونسو الأرجوني ، وهي حملات ظهر أثرها في نظم الشعراء المعاصرين الذين يغذيهم بلاط نابل

ويصور لنا برنتانو لوكريسيا فتاة ناعمة وافرة السحر والرقة ، وافرة الذكاء والحزم ، ويصورها لنا في فيرارا أميرة رفيعة الخلال تحمي الآداب والفنون ، ويكاد يصورها لنا في أعوامها الأخيرة قديسة فياضة الورع والتقوى

وكتاب برنتانو قطعة بديعة من التدليل التاريخي ، وقد يدفع بدقة منطقه كثيراً من التهم التي نسبت إلى ابنة اسكندر السادس ؛ ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يهدم كثيراً من العناصر الأساسية التي تمثل في هذا الاتهام

ومع أننا بالرغم من محاولة برنتانو البديعة ، ما زلنا نؤثر ناحية الاتهام في سيرة لوكريسيا بورجيا ، فانا نميل مع برنتانو الى الاعتقاد بأن كثيراً من الاغراق والمبالغة يشوب تلك الصور المروعة الآثمة التي تركتها لنا سير العصر ، عن تلك الشخصية الباهرة المظلمة معاً ؟

(تم البحث)

محمد عبد الله عنان
المحامي

(النقل ممنوع)

ظهر حديثاً كتاب :

في أصول الأدب

صفحات من الأدب الحي والآراء الجديدة

بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من إدارة مجلة الرسالة ٣٢ شارع البدولي — القاهرة
وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً خلاف أجرة البريد

التربية الخلقية والاجتماعية
في المدرسة

للأستاذ فكري أبو السعود

في كلمة سابقة بهذا العنوان ذكرت أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق مدارسنا الغرض الأسمى من التربية — وهو التربية الخلقية الاجتماعية — هي خلق مجتمع راق في المدرسة يساهم فيه الطالب ويكتسب فيه من محمود الصفات الخلقية ومقتضيات الحياة الاجتماعية ما يخرجه إلى المجتمع عارفاً بمطالبه ، مزوداً بالمؤهلات التي تساعده على الاندماج فيه والنجاح في معتركه

وأعود الآن إلى بيان مزايا هذا المجتمع الواجب خلقه في المدرسة ، فمزاياه لا تقتصر على اختلاط الطلاب بعضهم ببعض لحميد الأغراض ، بل تشمل أيضاً اختلاطهم بالمعلمين ، وهو أمر لازم للتربية الصحيحة ؛ إذ من طبيعة الناشئين الاقتداء بمن هم أكبر منهم وأخبر ، ومن طبيعة المواهب الانسانية العقلية والخلقية ألا تنمو وتسمو إلا بتقليد أولئك الذين يتطلع إليهم الناشيء نظرة إكبار ، ويُحسن فيهم الاعتقاد ، وتنزع نفسه إلى التشبه بهم

وهذا الاختلاط الجم المزايا بين الطلاب ومعلميهم سائد في معاهد انجلترا من المدارس الصغيرة إلى الجامعات الكبيرة ، وأثره في تربية الناشئة الانجليزية أعظم من أثر كل ما يلقى في حجرات الدراسة من معلومات ؛ فالمعلمون يعاملون طلابهم معاملة الزملاء الصغار أو الأقرباء الناشئين ، وبهذه الروح يناقشونهم في أوقات الدراسة ، ويشاركونهم ألعابهم وحفلاتهم ، ويكن المعلمون لطلابهم العطف ، ويكن الطلاب لمعلميهم الاحترام ، وتسود معاملة الفريقين البساطة التامة ، وأعظم بما لذلك من أثر في تربية الرجولة والصراحة والاعتداد بالنفس بين الناشئين !

أما في مدارسنا فالهوة بين المعلمين والطلاب سحيقة ، والنفرة شديدة : لا يفهم المعلم من نفسية كل طالب شيئاً كثيراً ، ولا يعطف إلا على النادر منهم ، ولا يعلم الطلاب عن معلميهم غير ما يثرثره عليهم من معلومات لا تنتهي إلا بانتهاء السنة المدرسية ، ولا يضمرون له حباً ولا ميلاً ، بل يستحكم العداء بين الفريقين